التأهيل الأسري

تأليف : د. ياسر الشلبي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

الزواج هو حالة اجتماعية ارتقائية وانتقالية ، حظي على مستوى العصور المتتالية والأنظمة والأديان والعادات والتقاليد بعناية فائقة من حيث الضوابط والطقوس وتوزيع الأدوار ، حتى اعتبرت الليلة الأولى من الزواج ليلة العمر ، بل اعتبرته الشريعة الإسلامية نصف الدين ، واعتبرته المجتمعات أساساً في الدخول في العملية الاجتماعية ودائرتها .

وتعتبر الأشهر الأولى من الزواج خطاً فاصلاً بين حياة ما قبل الزواج وما فيها من رقّة ورومانسية وبراءة في الأحلام ..وحياة ما بعد الزواج وما فيها من تحديات ومسؤوليات وتبعات . . وهي خطوة حرجة حساسة في درب الحياة . . إمّا أن تكون ، أو لا تكون!!

ومن يعايش الشباب يعرف أنهم قبل ليلة الزواج يبقون في حيرة يلتمسون من يجلسون إليه ليعطيهم المشورة في بدء حياتهم الزوجية ، ولقد كان المجتمع قديماً يتعامل مع ذلك بأن يرشد الأب ابنه والأم ابنتها ، أما اليوم وللأسف فإننا نجد أن الكثير من الشباب والفتيات وأسرهم يحرصون كل الحرص على متطلبات يوم الزواج المادية من قاعة وطعام وديكورات وثوب الزفاف... ، وينسون أو يتناسون ما بعد هذا اليوم وأهمية تعليم الأبناء مهارات التعامل الزوجية والأسرية ، وقد يجد الشاب نفسه في ورطة؛ فيحاول تعلم بعض المعلومات من أصدقائه وقد يعطى معلومات تكون السبب الرئيسي في دمار علاقته الزوجية .

أضف إلى ذلك ما يعيشه المجتمع العربي من تكوين سلبي للمقبلين على الزواج ، فيقبل الشاب على الحياة الزوجية وكأنه مقبل على ساحة حرب يتسلح فيها كل من الرجل والمرأة بالأسلحة اللازمة للفوز بأول مرحلة، فتشحن المرأة ضد الرجل " الرجال هم المخادعون، الرجل على ما عودته ، عليك أن تفرضي نفسك في البداية، لا تجعلي أهل الزوج يرون منك ابتسامة حتى لا يستسهلونك ... " و غيرها من المقولات التي تسهم في توتر الجو من أول

ليلة، كما يشحن الرجل ضد المرأة "عليك أن تثبت رجولتك بالأمر والنهي، لا تشاورها و إن شاورتها فخالفها ...." وغيرها من الأقوال الهدامة للاستقرار الأسري .

وقد أكدت الدراسات أن السنوات الأولى من الزواج هي المحك لنجاح الحياة الزوجية، كما تبين من الإحصائيات الصادرة من وزارات العدل أن أكثر المتقدمين لطلب الطلاق هم في سن ما بين ٢٠ – ٢٥ سنة ، وأن مرحلة الزواج الأولى وصلت نسبة الفشل فيها إلى ٤٥% في بعض مناطق الوطن العربي، فكان لابد من دراسة أسباب هذه الظاهرة، وتبين من خلال الدراسات أن السبب الرئيس يكمن في جهل الطرفين في آداب وأحكام الزواج، بالإضافة إلى الجهل في معرفة أهداف الزواج أو كيفية التعامل بين الزوج وزوجته وفهم كل منهما نفسية الآخر، مضافاً إلى ذلك حمل المفاهيم الخاطئة عن الحياة الزوجية ومراحلها.

وهذه المؤشرات تحتم على العقلاء والمصلحين في المجتمع إيجاد الحلول الناجعة لتلك المشكلات لاستدراك تفاقمها في المجتمع ؛ فكان لابد من المبادرة إلى المحافظة على الأسر الناشئة ، والتي تمثل مستقبل البلاد، وروحها، وعنصر القوة فيها، وثروتها الحقيقية .

ولقد انعقدت العديد من المؤتمرات واللقاءات المهتمة بشؤون الأسرة مع العديد من مناطق العالم الإسلامي (ماليزيا – الكويت – مصر – السعودية – قطر – سوريا- الأردن – لبنان ..) طرح فيها المختصون أهمية وجود برامج تأهيلية للشباب والفتيات المقبلين على الزواج ؛ للحفاظ على كيان الأسرة واستقرارها .

ولقد وضح الدكتور عمر المديفر[1] بعض الأسباب التي تحتم على المجتمع تأهيل الشباب والفتيات للحياة الزوجية منها[2] :

١- أن من أهم الأسباب في فشل العلاقات الزوجية أو نهايتها هو قلة المعلومات المتوافرة لدى أفراد المجتمع عن أساسيات مهمة في العلاقات الزوجية ، ومِنْ ثَمَّ يكون تقديم هذه المعلومات خطوة في إنجاح العلاقات الزوجية أو تقليل فشلها .

٢- هناك كم هائل من المعلومات والمعارف المتعلقة بحياة الناس الزوجية والتي لا يكفي أن يتلقاها الأفراد داخل أسرهم من خلال الممارسة، وليس من المعتاد أن تقدم داخل العملية التربوية ومن ثم يمكن تقديمها على شكل دورات تقدم فيها هذه المعلومات .

---

[1] – د. عمر بن إبراهيم المديفر : استشاري طب نفس الأطفال والمراهقين والعلاج الزوجي والعائلي/مستشفى الملك فهد بالحرس الوطني بالرياض .

[2] – التدريب في مجال العلاقات الزوجية ، د.عمر المديفر ، من أوراق عمل الملتقى الثالث لمشاريع ولجان الزواج بالمملكة ، ص ٢٥٩ –٢٦٢ . باختصار .

٣- أن السلوك الزوجي يمكن تطويره من خلال التدريب المباشر للمتقدم على الزواج أو المتزوج.

٤- أن تغير المعلومة ثم السلوك ثم الاتجاه يؤدي إلى تغير الواقع والممارسة وهذا ما تسعى إليه هذه البرامج .

وبحمد الله تعالى نرى أن بعض المجتمعات أصبح لديها الوعي في أهمية هذا الموضوع وانطلقت بعض الدورات المتخصصة في ذلك ، فعلى سبيل المثال : في ماليزيا لا يتم عقد النكاح إلا بعد حضور الزوجين برنامجاً تأهلياً للحياة الزوجية لمدة شهر ، وفي منطقة الخليج في الكويت والإمارات والسعودية وقطر تُعقد العديد من الدورات للمقبلين والمقبلات على الزواج[١] ، وفي المملكة العربية السعودية تم مؤخراً تبني وزارة الصحة بالتعاون مع وزارة العدل ووزارة الشؤون الاجتماعية عمل برنامج تحت عنوان (البداية الرشيدة) لتقديمه لمجلس الشورى لإصدار قانون بالإلزام بتلك الدورات قبل عقد الزفاف ، ولقد شاركت في إعداد حقيبة هذا البرنامج وتطبيقه وتدريب المدربين على تقديمه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصادر لجان الإصلاح في المحاكم والمراكز الأسرية في الوطن العربي تؤكد ندرة حالات الطلاق في الشباب الذين حضروا تلك البرامج التأهلية قبل الزواج ، وسهولة معالجة قضاياهم .

ومن خلال عملي في مجال التأهيل الأسري وتأهيل أكثر من (١١٥٠٠) شاب وفتاة للحياة الزوجية ، تم عمل دراسة على عينة منهم (١٠٠٠) شاب لمعرفة مدى تأثير البرنامج في حياتهم الزوجية ؛ وكانت النتيجة - بحمد الله - مبهرة حيث لم تتجاوز نسبة الطلاق في تلك الفئة (١%) .

كما عبر بعض الشباب عن آرائهم بعد حضور تلك الدورات منها :

- تدربت في هذه الدورة على أمور لم أكن أعلمها وتعلمت أموراً كنت أتساءل عنها ولم أكن أستطيع السؤال عنها.

- تعلمت من هذه الدورة الكثير عن حياة النبي ﷺ الزوجية ما لم أكن أتوقعه.

[١] - أوراق عمل مؤتمر الزواج الصحي الأول بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ٦/١٨ / ١٤٢٨هـ .

– صحّحَتْ لي هذه الدورة بعض الأفكار الخاطئة عن مفهوم الزواج والعلاقات الأسرية ، وتعلمت منها وسائل الارتقاء بالحياة الزوجية إلى السعادة والرضا .

– كانت لي تجربة فاشلة في الزواج ، وبعد حضوري هذه الدورة أتوقع بإذن الله تعالى أن هذا الفشل لن يتكرر، وكم أتمنى لو أني حضرت هذه الدورة قبل تجربتي الأولى.

مفهوم التأهيل الأسري

تعريف التأهيل

أولاً : تعريف التأهيل لغة[1] : من أَهّله لذلك الأَمر تأْهيلاً وآهله بالمد : جعله أهلاً لذلك، أو رآه له أهلاً ومستحقا ، يقال "مُشْكِلةٌ ولا أبا حَسنٍ لها" أي مشكلة لا يوجد شخص مؤهّل لحلها وتدبير شأنها، من نوع أبي الحسن علي ابن أبي طالب ﷺ .

والتَّأَهُّل: التَّزوُّج ، وأَهْلُ الرَجل: زوجهُ، وأخصّ الناس به.

قال أبو زيد: آهَلَكَ الله في الجنة إيهالاً، أي أدخلكَها وزوّجكَ فيها. وأَهَّلَكَ الله للخير تَأهيلاً.

المؤهلات : هي الاستعدادات الطبيعية التي تجعل الرجل أو المرأة أهلا لأمر ما .

ويقال – لا يحمل أي مؤهل علمي أو أي شهادة دراسية ...

والأهلية : هي صلاحية الشخص لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه[2] .

وورد لفظ الأهل الدال على حمل المؤهل في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة ، والآثار، منها :

١– عن أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ))[3].

أي أسند وجعل في غير أهله ، يعني إذا سود وشرف غير المستحق للسيادة والشرف[4].

٢– عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لاَ تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ ، وَلكِنِ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ))[5] .

٣– عن ابن مسعود ﷺ قال : (آفةُ العِلْمِ النِّسْيَانُ وَإِضَاعَتُهُ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ غَيْرَ أَهْلِهِ)[6].

ففي هذا الأثر التنبيه على أن العلم لا يودع عند غير أهله، من لا يفهمه ولا يعرفه ؛ فتحديثك به له إهمال للعلم أي جعلته بحيث صار مهملا أو إتلاف لعدم معرفتهم بالمحدّث

---

[1] –كتاب العين (٢٨١/١)، الصحاح في اللغة (٢٦/١)، لسان العرب (١١ / ٢٨) ، معجم تصحيح الإعلام العربي (١ / ٣٢٣) .

[2] – معجم لغة الفقهاء (١ / ٩٦) .

[3] – أخرجه البخاري، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة (٢٣٨٢/٥ ، رقم ٦١٣١) .

[4] – النهاية في غريب الحديث (٥ / ٣٩٨) .

[5] – أخرجه أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث أبي أيوب الأنصاري (٤٢٢/٥ ، رقم ٢٣٦٣٣) ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم (٥٦٠/٤ ، رقم ٨٥٧١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

[6] – أخرجه ابن أبي شيبة، كتاب الأدب ، باب تذاكر الحديث (٢٨٦/٥ ، رقم ٢٦١٤٠) ، و الدارمي في السنن، في المقدمة ، باب مذاكرة العلم (١٥٨/١ ، رقم ٦٢٢) عن الأعمش مرفوعا ، لكنه مرسل ، والأصح وقفه على ابن مسعود ﷺ ، كشف الخفاء (١/ ١٧) .

به ، ويشعر ذلك بأن كل علم يختص باستعداد ، وله أهل ؛ فمن وضعه في غير موضعه فقد ظلم [1].

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – [2] :

أأنثر درا بين سارحة النعم ... أأنظم منثورا لراعية الغنم

لئن سلم الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم

ومن منح الجهال علما أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

٤– كما ورد لفظ التأهيل في أقوال الفقهاء مثل قولهم[3] :

" الأحكام الشرعية لا ينبغي أن يتكلم فيها إلا من كان مؤهلا تأهيلا شرعيا " .

" من شروط القياس: أن يصدر من عالم مؤهل، فإذا لم يصدر من عالم مؤهل ففي هذه الحال يكون قياسه في غير محله "

" وهكذا الفتوى في الدين إذا لم يكن مؤهلاً للفتوى وأفتى بخطأ فلا يقال: له أجر في اجتهاده؛ لأنه لم يتأهل " .

" إنا نثبت الخطأ في أربعة أجناس : أن يصدر الاجتهاد من غير أهله .."

– تعريف التأهيل الأسري

هو الإعداد والاستعداد لأمر الزواج بما يصير معه الطرفان أهلا له[4] .

ولقد استعمل مؤخراً مسمى التأهيل الأسري، والتدريب الأسري، أو الإعداد الأسري ، ليدل على البرامج التثقيفية المقدمة للمقبلين على الزواج من الشباب والفتيات والتي تهدف إلى تعليمهم مهارات التعامل بين الزوجين (الشرعية – النفسية – الاجتماعية – الصحية – المهارية) في جميع مراحل الحياة الزوجية، وطرق تربية الأبناء، والتي تقدم في أوقات محدودة ولفترة زمنية معينة في أماكن معلومة.

ويقصد بالتأهيل في الجانب الشرعي: تزويد المقبلين على الزواج بما يحتاجون إليه من فقه الزواج، أي بالأحكام الشرعية المتعلقة به، كأحكام الخطبة والعقد، والزفاف، والحقوق

---

[1] – فتح الباري لابن حجر (١٩ / ٢٥٧) ، التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١ / ١٧) .

[2] – كشف المشكل من حديث الصحيحين (١ / ٤١) .

[3] – المستصفى (٢ / ٢٣٦) ، المقاصد عند الإمام الشاطبي (٢ / ٢١) .

[4] – الدورات التأهيلية للراغبين في الزواج ،د. أيوب بن خالد الأيوب، من أوراق عمل الملتقى الثالث لمشاريع ولجان الزواج بالمملكة العربية السعودية، ص ٢٧١ .

الزوجية، وأحكام الطلاق، وغيرها .

إذ لا ينبغي للمسلم أن يقدم على أمر، دون معرفة أحكامه (الأساسية على الأقل) ، وسؤال أهل العلم عند الجهل .

جوانب التأهيل الأسري

المحاور التي تتناولها برامج إعداد الشباب والفتيات للحياة الزوجية :

(المحور الديني – المحور الاجتماعي والنفسي – المحور المهاري الأسري – المحور الصحي الأسري)

من خلال المواضيع التالية :

أ- مفهوم الزواج وأهدافه . ب- الخطبة وآدابها .

ج- آداب وأحكام ليلة الزفاف . د- آداب وأحكام العشرة الزوجية .

هـ – العلاقات الاجتماعية بعد الزواج .

و- المشكلات الزوجية : أسبابها وكيفية الوقاية منها أو علاجها .

مشروعية التأهيل الأسري :

أ- درج النبي ﷺ على تعليم أصحابه الكرام فقه الحياة وقواعد الإسلام وشرائعه وكل ما لا يحسنون فعله بالقول والفعل ، وقد بوب البخاري باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء ... ، ومن ذلك أن علمهم ما يتعلق بأمور حياتهم الزوجية :

١- عنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبْت امْرَأَةً فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : ((هَلْ نَظَرْت إلَيْهَا ؟ فَقُلْت: لا، فَقَالَ : فَانْظُرْ إلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا))[1] .

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إلَى مَا يَدْعُوهُ إلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَل))[2] .

---

[1] – أخرجه أحمد ، مسند الكوفيين حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه (٢٤٤/٤ ، رقم ١٨١٦٢) ، وابن ماجه كتاب النكاح ، باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها (٦٠٠/١ ، رقم ١٨٦٦) ، الترمذي كتاب النكاح ، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة (٣٩٧/٣ ، رقم ١٠٨٧) .

[2] – أخرجه أحمد كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه (٣٣٤/٣ ، رقم ١٤٦٢٦) ، وأبو داود كتاب النكاح ، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها (٢٢٨/٢ ، رقم ٢٠٨٢) ، والطحاوي كتاب النكاح ، باب الرجل يريد تزوج المرأة هل يحل له النظر إليها أم لا (١٤/٣) ، والحاكم في المستدرك (١٧٩/٢ ، رقم ٢٦٩٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

٣- وثبت عنه ﷺ أنه قال لأنَس: ((إذَا دَخلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ))[١].

٤- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا تزوج أحدُكم امرأةً أو اشترى خادمًا فليقل اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ ما جَبَلْتَهَا عليه وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّهَا وشَرِّ ما جَبَلْتَهَا عليه))٢ .

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: ((لَو أَنَّ أَحَدَكم إذا أراد أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَه، قال: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فإنه إنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ في ذلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَداً))[٣] .

٦- عن حصين بن محصن عَنْ عَمَّةٍ لَهُ : أَنَّهَا ذَكَرَتْ زَوْجَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: ((أُنْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ أَوْ نَارُكِ))[٤] .

٧- وعن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك .. فقال رسول الله ﷺ: ((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي مَنْ وراءك من النساء أن حسن تَبَعُّلِ إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله))[٥]

٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))[٦]

.

فهذه الأخبار وغيرها تعليم من رسول الله ﷺ لأمته بتوجيه جميع أفراد الأمة الإسلامية إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الزوجية ..

ب- وعلى ذلك سار أصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان بتعليم من أراد الزواج ما يكون سبباً في استقرار حياته الزوجية .

---

[١] - أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، كتاب الاستئذان ، باب النظر في الدور (١ / ٣٧٥، رقم ١٠٩٥).

[٢] - أخرجه البخاري في أفعال العباد ص ٧٧ كتاب التوحيد باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ، وأبو داود كتاب النكاح ، باب جامع النكاح (٢٤٨/٢ ، رقم ٢١٦٠) ، والحاكم في المستدرك (٢٠٢/٢ ، رقم ٢٧٥٧) وقال : حديث صحيح ، ووافقه الذهبي .

[٣] - أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أتى أهله (٢٣٤٧/٥ ، رقم ٦٠٢٥) ، ومسلم كتاب النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع (١٠٥٨/٢ ، رقم ١٤٣٤)

[٤] - أخرجه أحمد ، مسند الكوفيين ، حديث حصين بن محصن (٣٤١/٤ ، رقم ١٩٠٢٥) ، والحاكم في المستدرك، كتاب النكاح (٢٠٦/٢ رقم ٢٧٦٩) وقال حديث صحيح ووافقه الذهبي،والبيهقي في الكبرى، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في عظم حق الزوج على المرأة (٢٩١/٧ ، رقم ١٤٤٨٣) .

[٥] - أخرجه ابن عساكر (٣٦٣/١٧) . وأخرجه أيضًا : البيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠/٦ ، رقم ٨٧٤٣) .

[٦] - أخرجه أحمد، كتاب العشرة المبشرين بالجنة حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه (١٩١/١ ، رقم ١٦٦١) ، و الطبراني في الأوسط (٣٣٩/٨ رقم ٨٨٠٥) ، قال الهيثمي (٣٠٦/٤) : فيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح .

١- فعن أبي سعيد مولى أبي أسيد : (أَنَّهُ تَزَوَّجَ فَحَضَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو ذَرٍّ وَحُذَيْفَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لَهُ : إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خُذْ بِرَأْسِ أَهْلِكَ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي أَهْلِي وَبَارِكْ لأَهْلِي فِي وَارْزُقْنِي مِنْهُمْ ثُمَّ شَأْنَكَ وَشَأْنَ أَهْلِكَ)[١] .

٢- قال أنس ﷺ : (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة على زوجها، يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه)[٢].

٣- ووصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال : (إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتاب فإنه يورث البغضاء "أى الكراهية" ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، و أطيب الطيب الماء)[٣] .

٤- خطب عمرو بن حجر ملك كندة أمَ إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني ، ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث فأوصتها وصية تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة ، وما يجب عليها لزوجها مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء فقالت :

أي بنية : إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلَّفت العش الذي فيه درجت ، إلى وكرٍ لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيباً ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً ، واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً :

أما الأولى والثانية : فالخضوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله .

---

[١] – أخرجه الطبراني في الأوسط (٢١٧/٤ رقم ٤٠١٨) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٦ / ١٩١) بسند صحيح .

[٢] – فقه السنة (٢ /٢٣٣) ، ولم أعثر على تخريجه حسب اطلاعي في كتب الحديث .

[٣] – محاضرات الأدباء للأصفهاني ص ٤١٥ .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنه إن أفشيت سره أو خالفت أمره أوغرت صدره ولم تأمني غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً[1] .

ج- كما أن تعلم الأحكام المتعلقة بالزواج من الأمور التي ينبغي أن تعلم بالضرورة، ولا يعذر الجهل بها؛ فمنها ما يتعلق بصحة عقد الزواج من عدمه، ومنها ما يتعلق بالحقوق والواجبات، ومنها ما يتعلق بالطهارة والتي هي شرط من شروط الصلاة، ومنها ما يتعلق بالصيام والحج ..

[1] - العقد الفريد لابن عبد الرب الأندلسي (٢ / ٤٢٠) .

أهداف الزواج

المفاهيم المطلوبة :

١- معرفة أهمية بناء الحياة الزوجية على أهداف واضحة .

٢- الحياة الزوجية شراكة بين اثنين ليس الهدف منها الربح أو الخسارة ، وإنما لها مجموعة أهداف .

٣- تتنوع الأهداف في الحياة الزوجية من حيث تحققها ، فمنها ما يتحقق فوراً بعد الزواج كالعفاف والمتعة ، ومنها ما يحتاج إلى فترة زمنية وصبر مثل الاستقرار ، والنسل ...

أهمية بناء الحياة الزوجية على أهداف مشتركة :

لماذا نتزوج ونكوّن أسرة ؟ لماذا نختار أن نكون مسئولين على أسرة بكل ما تحمله هذه المسؤولية من متطلبات وعطاءات وألم في سبيل إسعاد الآخر؟ هل نتزوج فقط من أجل الجنس والرغبة في حفظ النفس من الوقوع في الخطأ ؟ أم أنه لإرواء الفطرة الإنسانية التي تحتاج إلى العاطفة والرفقة كما تحتاج إلى الجنس والرغبة ؟ أم من أجل التكاثر والاستمرارية ؟ وهل الهدف من الزواج هو الجنس بالدرجة الأولى أم أن الهدف أسمى وأرقى من ذلك ؟ .. ولما هذه الفتاة بعينها ، أو هذا الشاب بعينه ؟

ومن جهة أخرى : هل تظن الفتاة أن زواجها جاء إثر مؤامرة دبّرها الوالدان للتخلص من شرّها ؟! أم أنهما شعرا بالملل منها ؟ وهل يعتقد الفتى أنه تزوج لكي يبحث عن المتاعب أو أنه يتمتع بثروة هائلة تدفعه للبحث عن شخص أو مجموعة أشخاص لكي ينفق عليهم ؟ هل هدف الزواج هو إضافة همّ إلى الهموم أو محاولة للتخفيف من هموم الحياة ؟.

هل الهدف من الزواج الهروب من شبح العنوسة ؟ أم الهروب من معاناة المشكلات والضغوط المستمرة في بيت الأهل ؟ أم لإثبات النفس والقدرة على الزواج .....

هل الهدف من الزواج هو رغبتهم في المعاناة والألم أم الركون إلى راحة وارفة الظلال تهبهم الشعور بالطمأنينة والسلام وابتغاء الأجر من الله وجعل الحياة الزوجية طريق إلى الجنة؟.

أسئلة تفرض نفسها على الطرفين قبل الزواج ، فالزواج أعظم شراكة بين اثنين ، ولكل شراكة أهداف ، ولكل شريك مواصفات يجب أن تتوفر فيه ، فمثلاً الشراكة التجارية الهدف

منها الربح ، ويجب أن يتصف الشريك بالأمانة ويتوفر لديه المال أو الجهد ، ثم ننظر بعد البدء في العمل بمدة هل تحقق الهدف أم لا فإذا تحقق الهدف استمرت تلك الشراكة ، وإن لم يتحقق انفصلت وأخذَ كلُّ شريكٍ نصيبه من المتبقي ، فهل الهدف من شركة الزواج تحقيق الربح ؟ ،

وأيُّ ربحٍ نقصده ؟ هل هو الربح المادي أم المتعة أم الذرية ؟ ، أم هو مجموعة أهداف يجب بدء الحياة الزوجية بها ؟!!

إن الزواج وتشكيل الأسرة له أهداف وأغراض ، ووضوح تلك الأهداف من بداية الحياة الزوجية ورسوخها في أذهان أفراد الأسرة سوف يؤثر على القرارات التي تتخذها طوال رحلة الحياة الزوجية ، و كل فرد يعرف من خلالها مهمته، ويساعد الآخر ويسانده لتحقيق تلك الأهداف ، كما أن الأخذ بها والعمل على تحقيقها يحلّ الكثير الكثير من المشكلات ويخفف من حدة النزاعات ، ويضع الزوجين في الطريق الصائب الذي يقودهم إلى حياة زاخرة بالحب مفعمة بالمودَّة والصفاء .

إن أهداف المستقبل المشتركة ، وكذلك الخطط المستقبلية ، إنما هي إلى جانب الحب الخالص ، الأساس الأكثر أهميّة في أيَّة علاقة ، ومن يتجاهل القوة التي تحملها الأهداف ، فهو يتجاهل حقيقة ما تحتاج إليه الحياة الزوجية من قاسمٍ مشترك لتجاوز أية أزمة كبيرة مقبلة ومحتملة .

* أهداف الزواج كغيرها من الأهداف ، ومن شروط الأهداف أن تكون واضحة قابلة للقياس ، ولتتحقق هذه الأهداف لابد أن يتوفر في الشخص الرغبة في تحقيق الهدف ، والأخذ بالأسباب والسعي لتحقيقها .

* كما أن الأهداف تتنوع فمنها الأهداف القريبة مثل (تحقق المتعة والعفاف) ، ومنها طويل الأمد يجب الصبر عليها لتتحقق مثل (النسل – الاستقرار) .

* يجب أن يدخل الزوجان إلى حياتهم الزوجية بمجموعة أهداف ، كي لا تهدم تلك الشراكة بمجرد عدم تحقق ذلك الهدف .

من أهداف الزواج

لم يوجد الله تبارك وتعالى تلك العلاقة والغريزة الدافعة لارتباط الذكر بالأنثى قصد تلبية الشهوة فقط ، ولا لتحقيق المادية وما شابهها وإنما قصد منها أهدافاً معينة ذات أثر إيجابي سواء بالنسبة للفرد أو للمجتمع ، ومنها الآتي :

الهدف الأول : الولد وهو الأصل ، وله شُرع النكاح ، والمقصود : إبقاء النسل.

يقول ابن الجوزي: " تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه فرأيت أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل " [1] .

فالنَكاح سبب في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه ، والمعرِض معطّل ومضيّعٌ لما كره الله ضياعه ، وقد تحركت في نفس زكريا عليه السلام – الشيخ الذي لم يوهب ذرية – تلك الرغبة الفطرية القوية في النفس البشرية ، الرغبة في الذرية ، في الامتداد في الخلق ... الرغبة التي لا تموت في نفوس العباد والزهاد، الذين وهبوا أنفسهم للعبادة ، ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾سورة آل عمران آية: ٣٨.

الهدف الثاني : إعفاف الزوجين وإحصانهما حتى لا يقعا في الفاحشة ، ولا يسلكا مسلكاً خاطئاً في قضاء الشهوة ؛ لأنها متأصلة في الناس، قال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ... الآية** ﴾ سورة آل عمران آية ١٤، فعمل الإسلام على توظيفها وتوجيهها الوجهة السليمة.

والمسلم مطالب أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة ، فيغض البصر ويحفظ الفرج، **قال الله تعالى** :

﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا[2] وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ... ﴾ سورة النور آية ٣٠ – ٣١ .

---

[1] – صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٤٦ .

[2] – أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا مالا يمكن إخفاؤه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : وجهها وكفيها والخاتم، تفسير ابن كثير (٢٨٣/٣) .

فقد أمر الله تعالى الرجال بغض البصر والعفة معاً ؛ وعلل ذلك بأنه أزكى وأطهر لقلوبهم وأحفظ لكرامتهم، كما أمر النساء بالاثنين وبالحجاب أيضاً ؛ ليساعد ذلك على غض البصر وهذه من أهم حسنات الحجاب في الدين الإسلامي .

والزوجة سبب لطهارة القلب، والوسائل لها أحكام المقاصد ؛ لذلك كان الزواج وقاية من الوقوع في الفاحشة ، وقد استحب أهل العلم للمتزوج أن ينوي بنكاحه السنة وصيانة دينه[1].

إلا أننا نلمس في عصرنا الحالي عزوف الكثير من الشاب والفتيات عن الزواج أو تأخير سن الزواج؛ وهذا يعرض الأمة الإسلامية بصفة عامة وشبابها بصفة خاصة لمخاطر عظيمة على المستوى الإنساني والحضاري والديني والأخلاقي والاجتماعي والصحي، لاسيما في هذا لعصر الذي ازدادت فيه دواعي الفتن والشهوات ، عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة وما تبثه وتنقله من مشاهد خليعة وأغاني ماجنة وبرامج هابطة تحرك عواطف الشباب وشهواتهم ، فلا تكاد تجلس في مجلس إلا وتأتيك الأخبار عن شباب منهزمين أمام شهواتهم ، فالشباب هم الفئة المستهدفة لكل من أراد شراً بهذه الأمة ، والزواج هو الطريق الحقيقي إلى إحصان النفس وإعفافها من الاستسلام لشهواتها، ووقاية الشباب من الفتن والانحراف عن جادة الصواب .

المقصد الثالث : النكاح سبب لنيل الأجر والثواب إذا قصد به وجه الله تعالى[2] ، فهو من الطاعة التي يؤجر عليها الإنسان، وليس مجرد شهوة أو متاع ولهو، فهو جامع لثواب العبادة، وتحقيق الحاجة الفطرية في النفس البشرية، لأنه يشتمل على تحصين الدين وإحرازه وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها، وإيجاد النسل وتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة النبي ﷺ وسبب إلى التوحيد بواسطة الولد الموحد .

فعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ، قَالُوا : بَلَى، قَالَ : كَذَلِكَ إِذَا هُوَ وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))[3] .

وإذا تعاون الزوجان على التربية والتوجيه ، نال كل واحد منهما الأجر والثواب — بإذن الله –

---

[1] – مغني المحتاج للشربيني (٣ / ١٣٩) .

[2] – فتح القدير (١٨٤/٣)، حاشية ابن عابدين (٣ / ٣) ، مغني المحتاج (٣/ ١٢٦) ، نهاية المحتاج (١٨٠/٦) .

[3] – أخرجه مسلم ،كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة (١٥٨/٢ ،برقم ٧٢٠) .

فقد وردت البشارة بالأجر العظيم على تربية الأطفال والإحسان إليهم ولاسيما البنات، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة أَنَا وَهُوَ، وَضَمَّ أَصَابِعه))[1]، لأن تربية الأولاد من أصعب المسؤوليات، وتحتاج إلى صبر وتضحية وإيثار؛ وكل هذه الصفات يثاب عليها الإنسان .

وحتى النفقة على الأسرة التي هي من الأمور الزوجية الواجبة على الزوج تكون سبباً لنيل الأجر والثواب إن قصد بها طاعة الله بل إن جميع العادات تتحول إلى عبادات بالنية وهذا ما يغفل عنه كثير من الناس ويفرطون في حسنات كثيرة .

قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً))[2].

المقصد الرابع : تحقيق المودة والرحمة والطمأنينة والسكن، و الترابط بين الزوجين.

يقول الله تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ سورة الروم آية : ٢١ ، فنجد أن من آيات الله تعالى أن جعل الزوجات من أنفُس الأزواج ، وفي ذلك إشعار بالازدواج النفسي والروحي ، وفي كونها سكناً دلالة على معنى الإيواء والستر والوقاية والأمن والهدوء والطمأنينة ؛ مما يمهد للمودة والرحمة اللتين هما روابط الإنسانية جميعاً ، ثم نجد هذا الزواج وهذه الحياة الزوجية جعلت في كل من الزوجين ضرورة للآخر وستراً وجمالاً لهما[3] ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ سورة البقرة ، آية : ١٨٧ ،فكل منهما في حاجة إلى الآخر ، وكلاهما ضرورة لصاحبه ، يعطي بقدر ما يأخذ ، وعليه بقدر ما له وقد تكون حاجة المرأة أشد ، وهو لها ألزم ، علاوة على ما في ذلك من إرواء العاطفة ، وإيناس النفس الموحشة ، مما لا يغني عنه مال ولا نعيم .

المقصد الخامس : تحصيل المتع الدنيوية :

كشف الله لنا عن حقيقة الدنيا في كتابه حيث قال : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ** ﴾سورة الحديد آية : ٢ ، فالمتع الدنيوية

---

[1] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد ،كتاب الشعر ، باب عقوبة البغي (٣٠٨/١ ، رقم ٨٩٤) ، ومسلم ،كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنات (٢٠٢٧/٤ ، رقم ٢٦٣١) .

[2] – أخرجه البخاري ،كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل (٩ / ٤٩٧ ، رقم ٥٣٥١) ، ومسلم مسلم في الزكاة باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين والزوج (٢/ ٦٥٩ ، رقم ١٠٠٢).

[3] – تعدد الزوجات وتحديد النسل . عطية محمد سالم ص ٦٥ .

زائلة لا محالة إلاّ أن سعي الناس خلفها لا يكاد ينقطع ، فالكل يسعى لنيل الحياة الكريمة ، ومن أكبر مُتع الزواج حصول الزوج على الزوجة الصالحة في نفسها المصلحة لغيرها تحفظه في حضوره وغيابه، قال تعالى: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ[1] بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** ﴾ سورة النساء آية ٣٤ .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ؛ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))[2] .

[1] – حافظات للغيب : أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله ، بما حفظ الله : أي المحفوظ من حفظه الله ، تفسير ابن كثير (١ / ٤٩١) .

[2] – أخرجه ابن ماجه كتاب النكاح باب أفضل النساء (٥٩٦/١ ، رقم ١٨٥٧) ، والطبراني (٢٢٢/٨ ، رقم ٧٨٨١) ، قال العجلوني : رواه ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة بسند ضعيف ، لكن له شواهد تدل على أن له أصلا ، كشف الخفاء (٢ / ١٨١ ، رقم ٢١٨٨) .

الاختيار

المفاهيم المطلوبة :

١- التعرف على أهمية الاختيار .

٢- التعريف بالأمور التي يجب التركيز عليها في الاختيار .

٣- مفهوم الكفاءة المطلوب مراعاتها للوصول إلى استقرار العلاقة الزوجية .

أهمية الاختيار :

من الأسس التي وضعها الإسلام لبناء أسرة قوية متماسكة أن يحسن كل من طرفي الزواج اختيار شريك حياته، فالزواج ليس قضية شخصية إنما هو قضية اجتماعية كبرى، فما ينشأ لسوء الاختيار من الشقاق بين الزوجين وانشطار الأسرة وتفككها لا تعود آثاره على الزوجين فقط وإنما يتعداها ويمتد إلى سائر المجتمع .

والخطأ في اختيار سلعة ما أو وظيفة ما أو غير ذلك قد يكون من السهل إصلاحه أو تبديله، أما الخطأ في اختيار شريك الحياة فهو مسألة مختلفة فلا يمكن إصلاحه بسهولة، فليست الحياة الزوجية ميدان تجارب، ولا حقل تذوق، ولا يُلام الرجل إذا أخذ يبحث عن شريكة حياته بدقة واعتناء، وعواقب التسرع في الاختيار وخيمة تُحوّل الحياة إلى سلسلة من المنغصات قد لا تنتهي، وتقديم صفة على أخرى دون توازن يؤدي إلى الشعور بالندم ولوم النفس عند أول مشكلة، كما أن بعض الصفات لا تدوم وتتبدل مع الأيام فلو كان الزواج مبنياً عليها لهُدم بفقدانها .

أضف إلى ذلك أن توافر بعض الصفات في الطرف الآخر لها تبعات؛ فالغني مثلاً كثير الانشغال والسفر والاجتماعات، والمرأة العاملة تحتاج للخروج من منزلها كلّ يوم، وهكذا لكل صفة ضريبة لابد من معرفتها قبل اتخاذ قرار الاختيار .

وإذا قلبنا البصر وجدنا أن أعظم مشكلات الزواج وصعوباته وانحلاله ناجم عن التسرع في اختيار الزوج أو الزوجة دون بحث وتدقيق، ففي مرحلة فورة الشباب قد يتسرع الرجل أو المرأة في الاختيار لوجود صفة في الطرف الآخر لاقت إعجابه كجمال أو مال أو شهادة أو وظيفة أو حسب ، وينسى أو يتناسى اعتبار الصفات الأخرى، فيبدأ الخلل بسبب الاعتماد على المظاهر دون التدقيق في بواطن الأمور، فعن سهل بن سعد الساعدي قال : ((مَرَّ رَجُلٌ

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ ألا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ ألا يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ ألا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا))[1] .

وقد يكون الاختيار مبنياً على تحقيق مصلحة مادية أو اجتماعية من خلال الاقتران بالطرف الآخر، وهذا الاختيار يسقط تماماً إذا يئس صاحبه من تحقيق مصلحته، أو إذا استنفذ الطرف الآخر أغراضه.

وقد تلعب الضغوط الخارجية في بعض الحالات دوراً في القبول أو الرفض كالهروب من جو عائلي تسلطي، أو الخوف من الوحدة، أو العنوسة ، أو غير ذلك ، فيوافق على هذا الزواج دون أن يفكر كثيرًا في خصائص الطرف الآخر بقدر ما يفكر في الهروب من الواقع المؤلم ، والعلاقة التي تبنى على ذلك توشك أن تزول وتنتهي .

وفي المقابل يضع بعض المقبلين على الزواج مواصفات تقوم على حسابات منطقية لخصائص الطرف الأخر، وبالتالي قد يخلو اختياره من الجوانب العاطفية، وقد يطول به الزمن دون أن يجد مطلبه، فيبدأ بالتنازل عن تلك الصفات واحدة تلو الأخرى فيقبل بأي زيجة ليلحق بقطار الزواج.

وقد يكون الاختيار مبنياً على الحب، فإذا كان هذا الحب لم يجرَّ إلى معصية الله تعالى فإن الحب وحده لا يكفي أن يبنى عليه الزواج؛ لأن الحب كما يقال أعمى يعمي المحب عن معرفة العيوب ، لكن بعد أن تصبح هذه المحبوبة زوجة لابد من ظهور العيوب والخلل فيشعر الزوجان بالندم والتسرع في الاختيار ، فالدين والأخلاق وحسن العشرة هي الأساس في بناء الحياة الزوجية والحب يأتي بعدها، أما إذا كان هذا الحب قد جرَّ إلى معصية فإن هذا الحب لن يدوم بعد الزواج بل سيصبح سبباً في ريبة كل واحدٍ منهما في الآخر، فيفكر كل منهما أنه من الممكن وقوع الطرف الآخر في مثل هذه العلاقة مع غيره ، وهكذا سيعيش كل واحدٍ من الزوجين في شك وريبة وسوء ظن، وسيُبنى عليه سوء عشرة بينهما عاجلاً أو آجلاً، وقد يُعيّر الزوج زوجته بأنها قد رضيت لنفسها أن يكون لها علاقة معه قبل زواجه منها، فيسبب

[1] – أخرجه البخاري كتاب النكاح في باب الأكفاء في الدين (٥ / ١٩٥٨ ، رقم ٤٨٠٣) .